

ندوة الدراسات العربية بالمتحف البريطاني؛

محفل سنوي مهم للقاء الشرق والغرب

د. وليد أحمد السيد**

■ تمثل ندوة الدراسات العربية التي تعقد في المتحف البريطاني بقلب العاصمة البريطانية لندن بحق ملتقى الشرق والغرب، حيث تلتقي دوريا عقول وخبرات الباحثين والأكاديميين والمهتمين بتطورات البحث العلمي والأكاديمي في مجالات متعلقة بالشرق العربي من خلال دراسات علمية وأكاديمية رصينة لأوراق عمل وأبحاث مهمة تنشر في وقائع المؤتمر السنوي. هذه الندوة الدراسية السنوية تعقد منذ العام 1964م، بدعم وتنسيق من مؤسسة الجابر بلندن، وتهدف لما نشأته وتبسيط الضوء على مستجدات الأبحاث الدولية وتعميق البحث العلمي في مجالات مهمة متعلقة بعلوم الحفريات والآثار والدراسات العمرانية والدراسات العربية وسواها. وقد شهدت قاعات المؤتمر بالمتحف البريطاني وعلى مدار ثلاثة أيام الندوة التي عقدت في الفترة من 23-25 تموز (يوليوس) لهذا العام، حضور أكثر من خمسين ورقة بحث وحضور أكثر من 180 عالما وباحثا أكاديميا متخصصا في الحفريات والتراث والآثار من دول تراوحت بين المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان وقطر والأردن وهولندا والإمارات العربية المتحدة وفرنسا وبريطانيا وأستراليا وأمريكا وإيطاليا ولبنان وسويسرا وإسبانيا وغيرها.

أهمية انعقاد هذه الندوة السنوية في قلب أوروبا تأتي في سياق التفاعل بين الشرق والغرب وضمن إطار اهتمام الدوائر الاستشرافية بالتراث الحضاري للحواضر العربية والشرقواسطية من ناحية، وفي سياق تفاعل الأكاديميين والاختصاصيين والمسؤولين وممثلي الجهات الرسمية العربية في تقديم أبحاث التراث العربي الإسلامي وتطوير البحث العلمي من خلال التفاعل مع الأوساط الأكاديمية والبحثية الغربية من ناحية أخرى. وبالنتيجة، فوقائع الندوة السنوية تمثل ملفا مختصا بالأبحاث القيمة والرصينة والتي تمثل خلاصة جهود المختصين والأكاديميين وتسلط الضوء على مناحج مهمة في تطور البعثات الأثرية الاستكشافية وتضاهي الجهد العربي المؤسسي لرعاية الجهود الغربية وتطويع مناهجها وتقديم التفسيرات المحلية لكشفتها ونتائج البحث من خلال جلسات الحوار العاصفة التي تلت تقديم الأوراق في اليومين الأولين.

وبالإضافة للاوراق المقدمة، حفلت زدهات المؤتمر باليوسترات التي تشرح منهجيات وخصائص أبحاث مستغنية فيما يخص التراث العمراني والأثري وبخاصة في سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة وقطر، ومن أهمها اليوستر المقدم من قبل وزارة الثقافة والتراث بسلطنة عمان ممثلا بمندوبها السيد علي المحروقي، حيث يشرح اليوستر توثيق الحارات القديمة بالسلطنة وتمثيلها للتراث العمراني المهم، حيث عملت السلطنة والوزارة المعنية في إطار جهودها لتوثيق هذه الحارات التقليدية على تشكيل لجنة خاصة لتوثيق وحماية الأبنية والبيئات التقليدية. وقد بدأت الحملة الأولى من هذه الحملة المهمة من قبل الوزارة في عام 2008م وتسجح في جمع جميع مظاهر التراث العمراني التقليدي بالسلطنة ومنها الحارات وتم رسم خريطة تبين توزيع هذا التراث العمراني المهم الجغرافي تمهيدا للمرحلة التالية في الحفاظ التراثي. وقد قدمت مجموعة من الأوراق والدراسات حول سلطنة عمان والتي تنطب في الآثار التي تعود لعصور ما قبل التاريخ وبحوث في المسوح الأثرية الحديثة في منطقة ظفار ومدينة صلالة القديمة، ومعلومة في ريادة سلطنة عمان بين دول الجوار البرامح الفعالية والمنهجية لتفعيل دور التراث وتوثيقه

«كوب شاي بالحليب» للروائي محمد جبريل؛

مرحلة مفقودة من الوعي

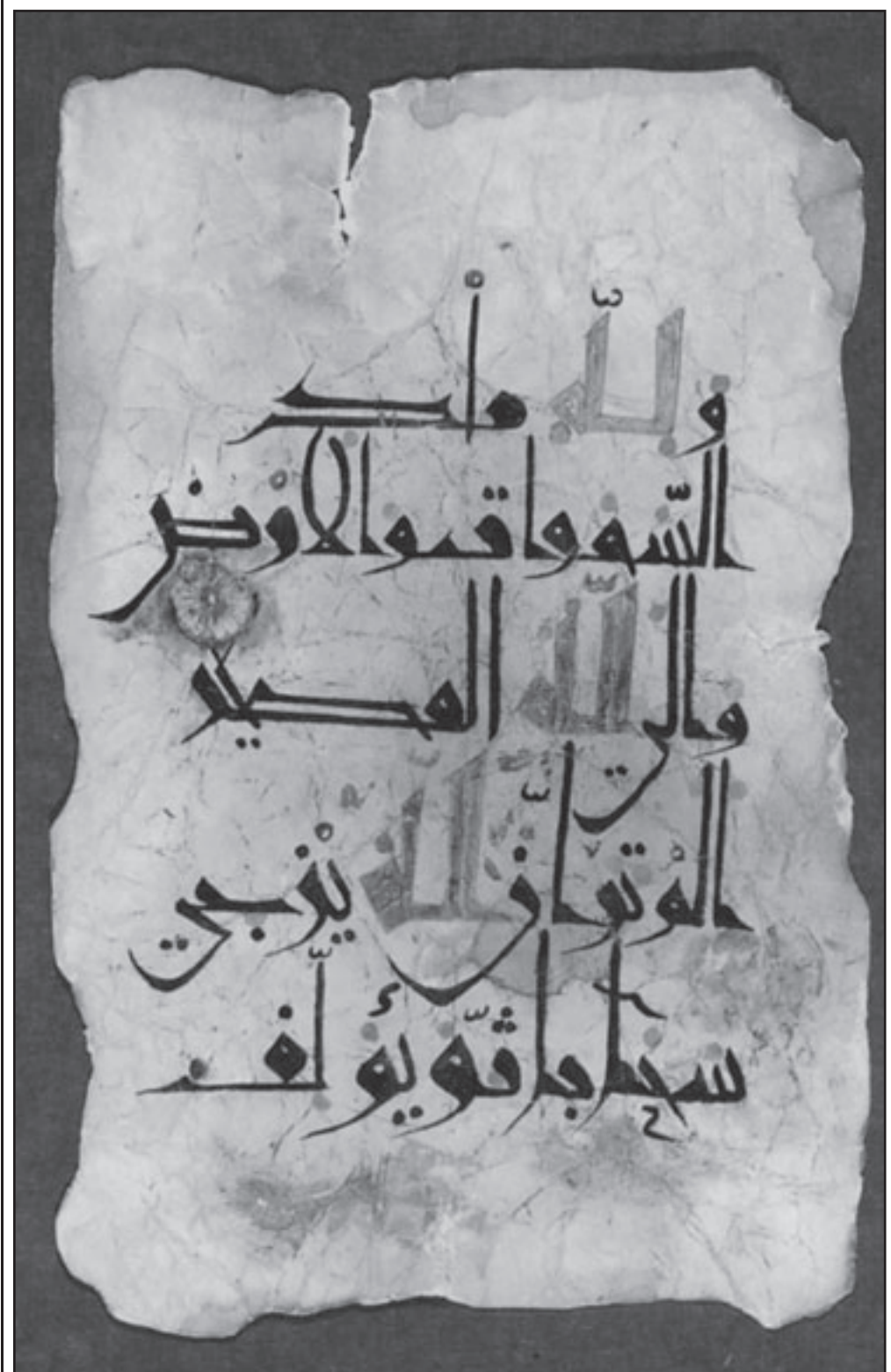
شوقي بدر يوسف**

■ تفصل بين الواقعي والتخييل شعرة رفيعة، غير مرئية، ولكنها حسوسة، تفرض الواقع يهواجس الذات وتوجهاتها، وتفرض حقيقة الفعل الواقعي ورد الفعل التخيلي المصاحب له في تعامل الإنسان مع ذاته، ومع ما يدور حوله من ممارسات قد تكون هذه الممارسات غرائبية بالنسبة له، وقد تكون غير مألوفة في واقعه الذاتي. إلا إنها تمثل مرحلة من الوعي، ومنطقة الإدراك، وبؤرة التمييز بين ما هو حقيقي، وبين ما يدور في منطقة الهواجس من موضوعات يمثلها المرء، ويرسم لها حدودا من سحرها، والاجترار في واقعه الذاتي. ولا شك أن القدرة التخيلية لاسترجاع الواقعي تجربنا في بعض الأحيان إلى الإحساس بيبدا الواقعي الذي ولي، ومضى، وكأنه حقيقة أبنية تراها الآن، وتنتشر بها ماثلة في أنفانها، بينما هي في الحقيقة منطقة موجودة في اللاوعي تبدو وكأنها ذات قدرة على التشكل والتلون والظهور مرة أخرى بظهر مغاير لما كان يدور في الخلية، وأن محاولة استعادتها مرة أخرى، ومعاودة استرجاع أحداثها التي مرت عليها سنوات طويلة، يجعل التلاحم بين الواقعي والتخييل مؤسسا لواقع جديد هو لا شك واقع إبداعي أتى له أليته الخاصة، قد يختلف عن الواقع الواقعي في أنه مشحون بروية فريدة أو جماعية خاضعة لقوانين المكان والزمان في شكلها الذي ينسب إلى التجربة الروائية في كثير من الأحيان.

والروائي اليوم يدافع من التفاعل مع ما يدور في عصره، ويدافع التفاعل مع الخلية في وظيفتها الابتكارية في سرد القضايا الدائرة في حدود عائله والبيئة قد تكون مختزنة في بعض الأحيان في المنطق اللاوعي، وتلح في الظهور من آن لآخر يكون معها تشكيل مفردات هذا العالم بكل ما كان يحمله من تاريخ وقضايا وشخص هو الحالة الأسرة لهاجس الكتابة، وتكون تجليات هذا التشكيل هي المحور الأساسي في التعبير عن واقعه الذاتي والموضوعي من خلال التخييل وما ينداح عنه من موضوعات تؤزق الكاتب وتمس جوهر المتن والمحتل في عائله الخاص. ولاشك أن رواية «كوب شاي بالحليب» للكاتب الروائي محمد جبريل تفتح من هذه الإشكالية، إشكالية الواقعي والتخييل، واستعادة واقع سردى شبه سبيري تتشكل

هو اجسه من محاولة تجسيد نسيج عام من ضروب الأحداث المعتمدة على نسيج آخر من التاريخ الواقعي، يمتزج بالتخييل السردى وما يصحبه من وجهات نظر خاصة تمتشي وتوافق مع أحداث شبه مضمرة تأخذ من الواقع ملامح وجودها من خلال مجموعة من الشخصيات المتباينة في الطبيعة، والاتجاهات، جمعتها الظروف في مكان له خصوصيته يرمز إلى واقع يمتد فضاهو ليسهل هذه الذات القائمة من أماكن لها أبعادها الخاصة، من سورية وفلسطين والبحرين والسودان وتونس ومن مصر أيضا، والجميع يجمعهم نسيبون قائم في هذه المنطقة الشعبية من وسط القاهرة، كما تجمعهم أيضا طبائع إنسانية محددة، ولكنهم يختلفون في أنماط الممارسات وما يتخلق حولها من تسييس لرويتهم الذاتية تجاه بعض القضايا الماسة لذواتهم، وبعض الممارسات الطبيعية التي يفرضها عليهم الواقع في ظروف مثل ظروف معيشتهم داخل النسيبون، وكألاك والجنس، مثل سيرته الذاتية الخاصة، ولكل منهم وضعيته، وحياته النابعة من سلوكياته. وتعد شخصية سمير سدوسي الشخصية المحورية داخل النص والراوي المشارك في الأحداث، وتمثل شخصيته في بؤرة الحدث الرئيسي السيد الواقعي التابع والمعتمد على جانب سبيري يفرض نفسه على طبيعة النص، وهو جدد منذ البداية، الواقعي، السبيري المستخدم من تاريخ الشخصية التي هي في بعدها الرئيسي تبدو وكأنها هي شخصية الكاتب بكل ما تحمل من مفردات، وبواكير في ممارساتها الحياتية في مطلع الشباب، فمعظم الشخصيات العائشة واقعا الوقت في النسيبون في بداية حياتهم العملية، بعضهم طلبة من جنسيات مختلفة السوداني والسوري والفلسطيني والتونسي والبحريني، وبينهم تاجر من سورية وأثنان من الوظائف المرصين نقلوا إلى القاهرة بحكم عملهم، هذه الشخصيات يجمعها مناخ الاغتراب في تيار حياتي يتفجر دائما ويعكس طبيعة البيئة، كما تتخلق حولهم «عنابر» وهي امرأة تقوم على خدمتهم داخل النسيبون ولهم سمير سدوسي في عائلته يعكس شخصيات نسيبون «ميرامار» لنجيب محفوظ فقد كانوا في الجولة الأخيرة من حياتهم، وكانوا يرزحون تحت واقع من المتناقضات، والصراعات الدائرة من داخل الذات وخارجها.

في الحالة الإبداعية للروائي محمد جبريل يصعب وضع حد فاصل بين النص الروائي في عائله وبين سيرته هذا النص، إذ أن الحالتين متزجتان في العديد من جوانبهما، كما أن عنصر الالتباس يكاد يفرض نفسه على هذه الحالة الروائية المطروحة أمامنا فجميع مقوماتها - فهو في كتاباته السبيرية في «حكايات من جزيرة فاروس»، و«الحياة الثانية»، و«مد الوجود»، ثم في «كوب شاي بالحليب» - نكاد نستبين نصوص ملتبسة تتراوح ما بين السيرة الذاتية والروائية لها نأقتها الخاصة، ولكننا أيضا نجد واقع السيرة الذاتية كما حددها كل من فلييب لوجورج، وجورج ماي في تظهيراتها حول هذا الفن يمتزج في بنية هذه النصوص، كما أن أعماله الروائية الأخرى نجد فيها أيضا شخصيته الذاتية قد تكون مضمرة داخل بنية النص، وأحيانا أخرى تكاد تفصح عن نفسها تماما، وفي روايته «كوب شاي بالحليب» تظهر في بنية النص كالبطل الذي تدلل على أن معمار هذا النص يأخذ من النص السبيري ليتمحور في الواقعي الأني، ويجدد واقع رواية سبيرية تمزج فيها أبعاد الواقعي مع هواجس التخييل في روية وتجربة مضافة إلى هذا العالم الجسد للتاريخ الاجتماعي لشخصيات الكاتب المستعادة في معظم نصوصه تقريبا، فالسرد قد جاء في هذا النص بضمير المتكلم، والشخصية واضع من تركيبها الأساسية وبنواكير ممارساتها داخل نيتج لنفسها عن مكان في هذا العالم منذ أن وعت على أن عالم الصحافة هو عالمها الخاص، وهي سماة تكاد تتطابق مع تجربة الكاتب الذاتية نفسها، وبواكير من هذا العالم الذي بدأ يبحث لنفسه عن موضع قدم فيه كان هو الآخر غير المكان الأصلي لعائله وهو الإسكندرية، أي أنه قد ترك الإسكندرية ليهد نفسه في شخصيات شخصيات الكاتب المستعادة في معظم نصوصه تقريبا، كما أن وجود بعض الأسماء في عالم الصحافة مثل سعد الدين وهبة، وأحمد عباس صالح، وعمان عاشور، وطوغان، والذين جاء ذكرهم في سياق السرد قد أصل أيضا هذا البعد السبيري، وحدث من خلاله البعد الرئيسي لهذا الجانب لارتباط هذه الشخصيات بالذاكرة الجمعية في عالم الكاتب المبكر. إضافة إلى هذا المنظور، وسواء كنا نتحدث عن تقنيات السيرة الذاتية الأدبية، أو عن «رواية السيرة الذاتية»، أو «رواية الفنان» أو «رواية الروائي» أو ما شابه ذلك، فإن تدخل الحدود لاتف في المجال السردى الذي يولف بين رغبة الاعتراف والبوح ورغبة السرد والقص، وكتلتهما



بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الفكري بين الشرق والغرب من خلال نخبة من الباحثين من كافة دول العالم تلتقي في أبحاثها ودراسات الشرق.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الاستماع للأوراق التي قدمت باللغتين الإنكليزية وندارا الفرنسية

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.

تداعيات

صلاح حزين.. عشق كثير وفقد أكثر

حزامة حبابيب*

■ كان عليّ أن أعرف يا صلاح أنك كنتَ تُبني بيتي بموتك الوشيك؛ لا لشيء إلا لأنك ظلت عاليا، شامخا، شاهقا، «واقفا» في جليستك ذات الميول الطبيعي الاستهزائي النيرة من حالات الحياة وتحولاتها، فأردا وجودك الكريم في كل مساحاتنا، تتحدث أمامي عن آخر الأخبار «غير المطمئنة» من الطبيب، تشرح بدقة تشريحية مناضية كيف كان الورم الخبيث ينهش رنتيك، تقتفي بانفصال عجيب مسرى المرض في جسدك، كأنه ليس مرضك، أو كأنه شأن لا يعنك تماما أنك (وأنت يا صلاح هو صلاح) تعرف جسدك أكثر منه، أو هكذا افترضت.. كأنك تريد أن تلصق السرطان تهمة شنيعة بوجود غير وجودك، مقلبا مشاهده كما لو أنه فيلم رعب «سخيف» تحتمل «مسخرته» ونفاهاته.. إلى حين. كان عليّ أن أعرف يا صلاح، وأنا لسْتُ أدري العارفين، أنك في لحظة الشرح المسهبة تلك غادرت حياتك، لتقرأها وتأملها، كي تفهم ربما ما فاتك، دون أن تكون مغنيا بإعادة حساباتك، أنت الذي أمرت ظهرك للحسابات الجافة بنقاء حقيقي، لقد خرجت من فصول عمرك، الشائقة والشائكة، لتعيد كتابة بعض أجزاءه.. ثم لم تعد. لنا كتابك مفتوحا على فصول لم تكتمل، وكحايات شغوية توافرت فيها كل عناصر الملهاة الداكنة، وضحكات عاقلة في الأمسيات البعيدة المطرزة بهناءت عابرة، واكتشافات ذات طبيعة طفولية أصيلة، وإغنيات عراقية أحبيبتها بصوتك الروعي الخريز من شرائط كاسيتات قديمة، وقصص، ومزيد من القصص، سوف تظل تذهلنا، وسوف تظل تملأ وجودنا ما تبقى من الوجود.

لعلك يا صلاح في ثباتك العظيم، وفي انزياحك عن آلام تنغظ لها الجبال، كنتَ تتحصن بمسلسل الأزحان «الماضيات، الأليات، المسقّرات، احزان العمر المديد، بالعشق الكثير، بالفقد الأكثر، بالرعب الجنتجان، المستطعم من خسارات الأوطان والأمال والبشر الجميلين، الذين أطروا حياتك النبيلة، لم تكن تستطيع أن تتغفر غضبا في حزننا، لم تكن تستطيع أن تحزن، وأبدأ لم تكن تستطيع أن تبكي أمام الخلائق الهشين أمثالنا حتى حين سقط أبوك غسانا، فترة حبية شوية، فكرا وضاء، من شجرة عمرك في عز إكلها، كأنه تكن تتأني عن الكياء أو تتحول منه، بل كنت ترومه وتزجيته، لكن الكياء كأنه اكتشف أنه لا يليق بقامة مهيبه كقامتك، قامة تعرف أن تمشي، وتمشي فقط، قامة لا تعرف الانحناء، تظل شجرة ساقمة، حتى وإن أعزى بعض أعضائها وهن وهزال، قامة لا تعرف التواضع، لأن الآخرين من حولك إن ينهارون كانوا يستجيرون بقامته التي لا تنهار. أنت ببساطة يا صلاح لم تجد الكياء، لم تتقن استدامة الدعم من العيون، وإن أوت عينك حُزن العالم، وناء جسدك بالخسارة الثقيلة، لقد اعترفت، بنسيء من أسي وحسرة، أنك تحسد الكيائين أمثالنا، وإذا بكيت، فهو ما ندر وفي حالات الفقد العادج جدا، فإني كنت تحزني التواري عن العيون، لكن الشيء الذي لعلك لم تعرفه يا صلاح أننا كنا نحسدك على روحك النديّة التي طهرتها أحزاننا ودموعنا، كنا نغيبك على قلبك الذي اتسع لاشقياء أمثالنا، فكنت متكا لنا، كنت حُصنا وحسنا، كنت ملجا وملادا، كنت صوتا نقيًا وصمًا أُنقى، كنت حضورًا مؤثرا، وسكون غيايا أكثر تأثيرا.

أين لنا يا صلاح به لاداء، بيضاء، صامدة كسيارتك؛ لقد اشتريتها من الكويت على عجل، كأنك تشتري علبه سردين من محل بقالة، «تمشاية حال»، فأخلصت لك كما لم يخلص كائن بشري لكائن حديدي مزعج، ولم تتزعزع محبتك لها رغم «حزنهنا» المتكرر، ثم لم يهن عليك أن تتخلص منها حتى بعد سقوط النظام الذي يمثلهها، فاشغقت عليها واحتفظت بها، وأصبحت تخدمها بدل أن تخدمك، من بقيق «ارحموا عزيز قوم يساري آل» أين لنا يا صلاح بيتي دافعي كبيتك؟ بيت عال يعلو فوق أي شيء أبناء الأوطان المهزومين، من مناضلين وحالين ومغفبين، من راحلين وعائدين، وقد اعتدت أن تنقل صحبة عمرك ورقة فكرك، على متن اللادا الصبور إلى المطار، في هجرات متتالية ورحيل قد لا يعودون بعدهم، وإن يسد ثياب، وفكر وهاج، وثقافة تعرف من بحر، وهيام أصيل بالحياة والغن والموسيقى والسينما والرواية، كما أدهشتنا يوما «ما نحن رفاقك يا صلاح لم تكن نخشى أن تغدر بنا الأيام، حتى وإن حولتنا إلى قطع لحم نهتر في غرف معتمة، رطبة، في المنافي، على الأقل، صلاح سوف يفتنا، فتع اغتسنا، ولن يتزكنا نمشي إلى القبر وحدنا. أتذكر، «أبو بؤك» العراقي؛ لم تكن تعرفه، كان صديقا لأصدقائك كعبيدين، تغفل بين منافي الله والأنظمة قبل أن يأتي إلى عمان بربوع أيامه الأخيرة فيها، كي يكون قريبا من مدينته بغداد التي مُنح عنها، ينتظر موته بعدما كان السرطان قد نالته، وإن حل موته المنتظر، فتمت أدار الخزانة والعمليات في بيتك، تجمع لمن بقعة أرض تواري فيها جثمان أبو بؤك أو ما تبقى منه. كنت «أهله» الوحيد في مناهة الأخير، حملت جثمان البغدادي الذي خُرم من بغداده، مع ثلاثة رجال، بينهم صديق عراقي بكى بحرقه على موته القادم الذي قد يكون مشابها لوت أبو بؤك، وموظف المستشفى الذي جهز صديق أصدقائك البعديين للدفن وسائق الشاحنة التي نقلت الجثمان، في جنازة وصفتها لنا بصوت غرق في دمع خبيء أنها حزينة.. حزينة جدا.

من سيدفتنا الآن يا صلاح؟

سوف أذهب إلى بيتك، الذي هو بيتي، سوف أدق على الجرس، المعطل في أغلب الأحوال. كالعادة، لن أنتظر أن يفتح لي أحد، سأفتح الباب بنفسي، وسأبحث عن شجرة تين ضخمة في حديقة البيت الخلفية، أتسلفها، كما اقترحت عليّ ذات مرة، لاني أخف كائنات البيت وزنا، فأقطف لك من الأغصان العالية، القريبة من الشمس حيات التين التي أستوت.. أستوت كثيرا. سوف أعطي شجرة التين يا صلاح، وحين أنتهي من جمع الثمار، سوف أرتاح على أحد الأعمان، وسأبحث عنك كي تلقيني. لو كنت أعرف أن عنافي كان سيكرم الأخير، لما أفلتكت.. سلام عليك يا صديقي، سلام عليك يا شقيقي، سلام عليك يا رفيقي، سلام عليك يا أبي لقد رحلتَ قامة هائلة ونبيلة. سوف أظل أرفع بصري إلى الأعلى.. إلى الأعلى كثيرا كي أسلك.

نية مكتملة

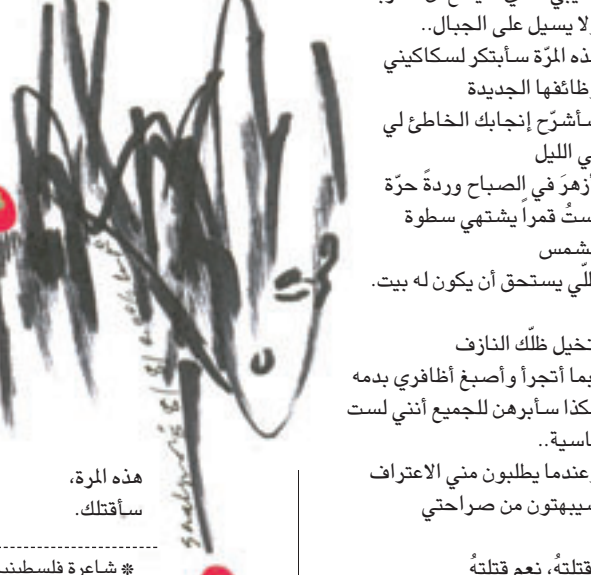
سارة رشاد**

قصصه بطنه الكبير واحتفظت به كرساة أخذت من رأسه سبع شعرات لأرطبها كتعبوية وفي النهاية اعترضت عرقه لأتجزئه «ساترك كل الطرق الممجة، وقاحتي تغريبي بأن أبدا بيدك كثير من الألم سيدعك للحياة كالم الكلمات حين تلطعني بها وتُحرخ أعمالي الصغيرة، فألامر يا حبيبني، يا حبيبني البسيط أن لا أنتظر دموعك وأحْـن

سارة رشاد**

هذه المؤنة أنتحر سافقتك، الأمرا يا حبيبني، يا حبيبني البسيط أن أضع بدل عينك حمصتين وأطرد وعلى شفقتك سبحانه، الأمر يا حبيبني يتعدى المكاس والغبارو حتى أبواب الخزائن المغتنة سافقتك حليبي هو قصيدتي السالطة حليبي الذي لا ينفع أن تشربه، ولا يسيل على الجبال، هذه المؤنة سابتكر لسكاكيني وظائغها الجديدة سأسرح إنجابك الخاطئي لي في الليل لأزهر في الصباح وردة حرة لسستُ فمرا يشتهي سطوة الشمس ظلي يستحق أن يكون له بيت.

أتخيل تلك النازف ربما أنتجرا وأصعب أطفاله بدمه هكذا سابرهن للجميع أنتي لست قاسية.. وعندما يطيلون مني الاعتراف سيهبثون من صراحتي «قتلته، نعم قتلته»



رغبة ملازمة للأخرى في داللتها على بعض ملامح الإنسان المعاصر الذي استبدل على مفعد الاعتراف في الكنبسية، وبعض ملامح الروائي المعاصر الذي استبدل الكتابة المباشرة عن ذاته باكتشاف هذه الذات وإعادة بنائها في علاقات الرواية التي تصل الخيالي بالواقعي، والحقيقي بالمجازي، عبر تعاقب اجتماعية وسياسية وثقافية ذاتية وعمامة في نفس الوقت يمتح منها وينهل من خطوطها في عين سردية وروائي منحه هذا العنوان البسيط الدال والمعبر عن ذات الواقع والتخييل في نفس الوقت «كوب شاي بالحليب».

بالمتحف البريطاني هذا العام، وتم توثيقها في قاعة الندوة، فضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد البحوث والأكاديميين والباحثين المختصين بأخر ما توصلت إليه الدراسات واستنتاجات الخبراء، إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التوصل الحضاري الجادة والرصينة بالف خير في متنتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدنية لندن.